المناحي الهزلية في الشعر العراقي المعاصر

م. د. دعاء إبراهيم رشيد العبيدي

duaaobide@gmail.com

المديرية العامة لتربية القادسية

تاريخ استلام البحث : ٢١/ ٤/ ٢٠٢٤

تاريخ قبول البحث : ١٠/ ٧/ ٢٠٢٤

الخلاصة :

للأدب أهمية كُبرى في حياةِ الشعوبِ وتحديدِ مصيرهم ، فهو كائن حيٍّ لا يموتْ ، قادر على تغيير القدر ، وتبديل الأحوالِ لأنَّه ينبع من قلبِ الإنسان ليبعث رسائله للمتلقي على مر العصور. ان معرفة الأبعاد الهزلية ولاسيما الغوص في القصيدة العراقية المعاصرة ، والقصد من هذا النوع الشعري وكيف استطاع الشعراء المعاصرين من إصدار صوت هزلي يحمل همومهم ويكسر قيود الخوف ، ويجسد آلامهم بحروف تبعث إلى الضحك وترسل رموزاً سياسية واجتماعية وفنية .لاسيما ان الهزل جزء من السخرية ومكون اساسي فيها، فجاء في الشعر العراقي المعاصر بمقاصد مختلفة، ومناسبة للواقع واحداثه السياسية والاجتماعية، وكذلك التخفيف من آلام الشاعر وفق آليات جعلها الشاعر تخدم اغراضه. وجاءت دراستنا لهذا الموضوع وفق تسلسل زمني للهزل في الشعر وكيف يتشابه مع مفردات أخرى واختلافه عنها، وكذلك الهزل في الأدب العربي واليوناني ثم التعرض إلى مناحي الهزل في الشعر العراقي المعاصر.

الكلمات المفتاحية : الهزل، التفكه، الطرفة، المقاصد، المناحي، الشعر، السياسي، الاجتماعي .

Comic aspects in contemporary Iraqi poetry

M. Dr.Duaa Ibrahim Rashid Al-Obaidi
duaaobide@gmail.cim
General Directorate of Education in Al-Qadisiyah

Date received: 21/4/2024
Acceptance date: 10/7/2024

Abstract

Literature has great importance in the lives of peoples and the inevitability of the people's lives. It is a living being that does not die, capable of changing fate and change because it comes from the human heart to send its messages to be received throughout the ages. Knowing the comic, especially delving into contemporary Brazilian liberalism, the intent of this poetic genre, and how contemporary poetry was able to issue a comic voice, squeezing their worries, breaking the fleeing electronics, and embodying their pain in letters that arouse laughter and send political, social, and artistic symbols. Especially since humor is part of **sa**tire and an essential component of it. Contemporary Iraqi poetry came with different purposes, appropriate to reality and its political and social events Our study of this topic was based on a chronological sequence of humor in poetry and how it is similar to and different from other vocabulary, as well as humor in Greek Arabic literature, then examining aspects of humor in contemporary Iraqi poetry.

Keywords: humor, humor, jokes, purposes, aspects, poetry, political, social .

الأبعاد المفهومية لمصطلحات (المناحي والهزل)

المناحي لغةَ :

وردت هذه اللفظة في اللسان العربي بمعانٍ عدّة أقربها إلى المقصود ما جاء في مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٥ هـ) : ((انتحى فلانٌ لفلانٍ: قَصَده وعَرَض له))[١]

وقالَ ابن منظور (ت ٧١١ هـ) : ((النَّحْو : القصَدُ والطرِيقُ ، يكون ظرفاً ويكون إسماً ، نَحاه يَنْحُوه ويَنْحا نَحْواً وانْتحَاه ... يُقال نَحْوتُ نَحْوَكَ أَي قَصَدَّتْ قَصْدَكَ) [٢]

أما الهزل : فهو ((نَقِيض الجِدّ ، هَزَلَ يَهْزِلُ هزلا ... وهزل الرجل في إذا لم يكن يجدَّ ... والهزالة : الفكاهة))[٣]

والفرق بين هذا وسخر : ((إنَّ الإنسانَ بسُتهْزا به من غير أن يسبق منه فعل يستهزا به من أجله ، والسُّخر يدل على فعلٍ يسبق من المسخور منهُ))[٤]

المناحي اصطلاحاً:

تعرف بأنها المقاصد أو المسالك للوصول إلى معنى ما ، لذلك عُرف النحو بالمسلك الذي يوضح معنى الكلمات من خلال حركة آخرها [٥]

أما الهزل :

إنَّ المعنى الحقيقي له التَّفكه ، والطَّرفة ، والسَّخرية ، والنَّكتة ، وكلَّها مرادفه للهزل لأن الغرض واحد وهو تشويه صورة المستهزأ به للإضحاك لأغراض مختلفة سياسية، واجتماعية ، ودينية.

أما الفكاهة :

فهي طُرفة أو نادرة أو حكاية موجزة ، يَسرد فيها الراوي حادثاً واقعياً أو منحيلاً ، فيثير اعجاب السامعين، ويبعث فيهم الضحك والفكاهة عالمها الخاص ومجالاتها ومؤلفاتها والراغبون فيها ، حتى إنها عزت عدداً من الفنون الأخرى ، ولاسيما الرسم ، فنزلت الفكاهة المصورة في صدر

الجرائد ، والمجالات الراقية ، وعالجت القضايا العالمية، وعادلت في قوة التعبير والتأثير المقالات المطولة لكبار الأدباء . [٦]

أما الطرفة:

هي نادرة وملحة ونكته وحكاية صغيرة تبعث عادة على الانشراح والضحك لما تتضمنه من فكاهة ، أو غرابة خارجة عن الكلام المألوف [٧] وفيها الطرفة تتكامل كل عناصر الإبداع.

أما السخرية :

هي ((نوع من الهرء ، قوامه الامتناع عن إسباع المعنى الواقعي أو المعنى كله ، على الكلمات ، والإيحاء عن طريق الأسلوب ، والقاء الكلام يعكس ما يقال)) [٨] وتتمثل السخرية في منهج جدلي ، يعتمد على الاستفهام [٩]

أما النكتة:

فهي عبارة منفتحه المسألة دقيقة أخرجت بعد النظر وتفكير ، وهي جملة لطيفة تثير في النفس انبساطا[١٠]

وعليه يكون الهزل : نوعاً أدبياً يثير الضحك ، يعتمد منهجاً ، يتناول القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية من زوايا دقيقة ، ليظهر للمتلقي بصورة فيها تجريح أو دونه.

أما المعاصرة:

فهي ((مفهوم نسبي ، لمسايرة العصر في جل تطوراته ومفاهيمه))[١١] فليست المعاصرة مدة تمتد إلى زمن قصير فقط حول الوقت الذي تفكر فيه ، وإنما هي مدة تحددها وجهة الحضارة[١٢]

المصطلح عند البلاغيين

للمقاصد الهزلية في البلاغة العربية صور متعددة منها

تجاهل العارف ، كقوله تعالى : (قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ) [١٣] فالعرض من الاستفهام في الآية الكريمة هي التقرير ، لان السائل عالم بالمستفهم عنه [١٤] .

والتهكم : هو الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار ، والوعد في مكان الوعيد ، والمدح في معرض الاستهراء [١٥] فشاهد البشارة في موضع الإنذار قوله تعالى : (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [١٦]

والهزل الذي يراد به الجد ، قال أبو العتاهية:

أرقيك أرقيك بسم الله أرقيكا من بخلِ نفس لعل الله يشفيكا

ما سِلمُ نفسك إلا من يتاركها وما عدوكَ إلا من يُرحيكا [١٧]

والهزل عند البلاغيين من البديع المعنوي، وعرفه بعضهم بأن يذكر الشيء على سبيل اللعب والمباسطة ، ويقصد به أمراً صحيحاً في الحقيقة ، والفرق بين الهزل والتهكم ، أن التهكم ظاهرة جد وباطنه هزل ، والهزل بعكسه [١٨]

والهزل عند علماء النفس: يعبر قبل كل شيء عن نوع من اللاتكيف الخاص الكاس في لشخص ، تجاه المجتمع ، وأن لا هزل إلا في الإنسان ، بل أن الهزل هو الإنسان ، لأن الشخصية هي التي يستهدفها الهزل أولاً [١٩]

مناحي الهزل في الادب :

طغى الهزل على الحياة الأدبية والفكرية ، وأصبحت له مقاصد واتجاهات . سياسية ، واجتماعية ، وفكرية وكتب التاريخ اليوناني والبلاغة العربية زاخرة بهذا النوع الأدبي ، لان هناك علاقة وثيقة بين الهزل والنفس الإنسانية ، فتارة يكون الهزل سيفا صارما يواجه به الشاعر أعداءه ، فهو المنقد للإنسانية ، والمنقد الوحيد للتخلص من ظلم السلطان

ولا يبتعد الهزل عن التفكه والتسلية ، ولكن مع الغاية ، فهي لا تفارقه أبداً ، لأنه يصبح دون جدوى ، والفنون عامة تعالج قضايا الإنسان المختلفة ، والهزل واحد منها.

نشأة الصورة الهزلية

للصورة الهزلية جدور عميقة ، وهي قديمة قدم الإنسان ، لأنها قد تكون ترويحا عن النفس أو تسرية عن القلب، واستنكاراً لما يقع ، أو هزءاً وتندراً بالخصم. تصنع البيئة الإنسان فنانا أو أديبا ، وتمدهما بالأسباب التي تجعلهما قادرين على أن يبدعا في عملهما من جهة، ويطوراه من جهة أخرى وهذا لا يعني أن العلاقة بين الأديب أو الفنان علاقة ايجابية ، وقد يقف الأديب أو الفنان موقعاً مناقصاً لظروف بيئته الاجتماعية والسياسية ويخرج من ظروف التفسح والانحلال أدباً ذا دلاله مستقبلية [٢٠] . وهكذا نشأ الهزل في أحضان البيئة ليعبر عن واقع موشح بالفساد او

الانحلال ، والترويح عن النفس همومها في ظل تلك البيئة.

يستمد الشاعر صورة الهزلية من واقعه الخاص ، وشخصيات تعيش في بيئته ، التقويم داتي سبب فسادا او ظلما ، أو لتقليل الشر الذي تملك القلوب أن حب الإنسان للضحك ونقد الواقع المرير بصورة هزلية ابتدأ بصور بسيطة محاكاة تصرفات الآخرين ، أو حتى نفس الإنسان.

ثم أخذ هذا النوع الأدبي، أو النقد الساخر يتطور بتطور الحياة ، حتى خلد في التاريخ [٢١]

وقد صار للهزل شعراء وكتاب عرفوا به، وتميزوا بأسلوبهم الساخر ، ويمكن أن تؤرخ للهزل بالاتي.

عند اليونان

توجه بعض كتاب اليونان إلى نظم الموضوع الهازل والساخر فنانا من شغل الحياة الفكرية والسياسية في ذلك الوقت وظهرت الملهاة، فالملهاة مسرحية تثير الضحك بأسلوب أنيق بعيد عن التهريج، وتنطلق أحيانا في تصوير الطبائع ، وما ينتج عنها من مواقف هزلية وساخرة معا فهي تتناول الطبائع والعادات البشرية في جوانبها المتطرفة ، وتعالج قضية معقدة ومتشابكة تتخبط فيها الشخصيات الأساسية والثانوية ، فيثير ارتباكها مدح المشاهدين، وقد تعرض شخصية مشهورة تاريخيا.

أو اجتماعيا ، فيرسم من ملامحها ما يبعث الانشراح في النفوس، والملهاة تتحاشي الحوض في قضايا مؤلمة [٢٢]

ويرجع أرسطو نشأة الملهاة إلى مرتجلات قادة الأغنيات والرقصات الاحليلية. التي كانت تؤدي في الاحمال التي تقام للالهة دينسبوس ، والفضل في معالجة الحبكات الكوميدية يرجع إلى شاعرين من صقلية ، هما ابيحا رموس، وفرورميس أما كربيتس فهو أول شاعر الينى يتحلا عن الشتائم الشخصية المقدعة ، كوسيلة للإضحاك ، إلى معالجة الحبكات الكوميدية ذات المدلول العام . فاكوميديا هي محاكاة الأناس أردال اقل منزلة من المستوى العام وهذه الرذالة الصادرة عن هؤلاء الناس ذات طبيعة خاصة. فهي تبعث على الضحك بسبب النقص والخطأ الذي يعتورها . ولكنها لا تحدث ألما للآخرين، وتمثل في ذلك بالقناع الكوميدي الذي يعني بالقبح والتشويه ، لكنه لا يؤذي مشاعر مشاهده [٢٣] .

والملهاة اليونانية القديمة (تتميز باللغة . الخشنة المباشرة وتردد في موضعها الهجاء السياسي وتتميز بوجود الجوقة وبخطاب الالتفات الجانبي الذي يلقيه رئيس الحوقة ويحمل آراء مؤلف المسرحية في النقد أو النصح وكبير مؤلفي ملهاة اليونانية هو "أرسطو فانيس " وأشهر مسرحية حمل كثيرا من النقد هي مسرحية " الضفادع . [٢٤]

((لقد تناول ارسطوفان يوربيدس وغيره في عدد من مسرحياته وأول مسرحية ظهر فيها الهجوم على يوربيدس بشكل عنيف وواضح في كوميديا (شيوخ اخا رناري)[٢٥]

فقد أفرد له مسرحيات ليكون مجالا للتذمر والسخرية ، منها مسرحية النساء في عيد التسمو فوريا ، ووصفه بعدو المرأة ، وسحارة النساء [٢٦]

كانت الملهاة في المجتمع اليوناني أعلى مقاما من الهجاء ، لأنها ذات طابع اجتماعي عام . ثم كان لها طابع ديني . لأن أصلها يرجع في بدنه إلى أناشيد المرح أو السرور التي كان يتعنى بها اليونانيون في أعياد الهتهم ، وفي هذا الغناء كانوا يمرحون مع النظارة ويسخرون منهم وكان هؤلاء من الرجال، وهم الذين يسمون الجوقة " الكورس " [٢٧]

ويرى افلاطون أن المحاكاة في الملهاة خطيرة الأثر ، قد ينتشر خطرها كما يقرر أرسطو في كتابه " السياسة" انه لا يجب أن يسمح للشبان بحضور الملهاة قبل. أن يصلوا إلى من يجلسون فيها مع الكبار على الموائد العامة لان الملهاة وظيفتها التطهير ويكون التطهير بمداواة الشر بمثله [٢٨]

وظهرت ملهاة متعددة مواضيعها بتطور الحياة ، فمنها ما يسمى بالمشاهد المجنونية أو mimos : وهي ضرب من الأداء التمثيلي كانت تحاكي صورا من الحياة العامة في شكل هزلي دون العروض الشعري وبرع فيها سوفرون والباردونية اليونانية paroidia فهي عمل أدبي تقلد عملا أدبيا آخر ، في صيغة مضادة وبقصد التهكم ، وبرع فيها خارسيس الذي كتب بارودیات تتهكم من الأساطير . وظهرت ملحمة الديليا وهي ما تعرف بملحمة الجبناء ، وهي معارضة متهكمة من الإلياذة التي تعتبر ملحمة الأبطال [٢٩]

ووجدت في الملهاة اليونانية القديمة نوعا يسمى بالملهاة الساتورية" وهي من الروايات المقنعة التي يظهر فيها الممثل بجسد حيواني وبوجه انساني وهي ملهاة بدينة اللغة ولم تصل الينا غير مسرحية واحدة من هذا النوع هي مسرحية " كلكوس" ليوربيدس . وفي القرن الرابع ق . م ظهرت الملهاة الوسطى وقد تخلت عن الهجاء السياسي واعتمدت على شيء من هذه المسرحيات [٣٠]

الاهتمام بالقصص الغرامية وبالتشويه الساخر الضاحك الأساطير اليونانية ، ولم يصل الينا

ومن المفكرين والفلاسفة الذين عرفوا بالسخرية والتهكم " سقراط" الذي كان منهجه التهكم من الآخرين مولدا الحقائق النائمة واتباع طريقة التجاهل المعرفة الحقائق ليثبت جهل الآخرين والسخرية منهم ، والقصد هو إثارة النفوس للتفكير [٣١]

أما الملهاة عند اليونان فقد كانت تقليدا لليونان. ومن بين من برعوا في الملهاة من الرومانيين " بلوتوس " الذي اعتمد المحاكاة لشعراء من الإغريق ، وبخاصة" ميناندر " ومن أشهر ملاهيه ، ملهاة " اولولاريا" أو " وعاء الذهب " وقد حاكاها موليير " في ملهاته الشهيرة " البحيل " وكذا ملهاة " امغيريون [٣٢]

ومن المسرحيات اليونانية : "مسرحية الاتلانية " شخصياتها شخصيات دنيا مثل الثرثار ، والأبله ، ومسرحية الخمار ، وفيها يرتدي الممثلون الذكور قناع السيدات لعرض الإضحاك . أما

ملهاة العصور الوسطى فقد تطورت وأصبحت تعالج موضوعات أكثر تماسا مع الحياة اليومية منها " مسرحية المقحمة" و" ملهاة المزاج" أما مسرحيات عصر النهضة ، امتازت بأنماط مختلفة منها " المسرحية المقنعة " والمسرحية الرعوية"

و "الملهاة الرومانتيكية" ، و "الأوبرا الهزلية " و "الملهاة العاطفية" و"المسلاة الفودفيل" المسرحية الماجنة" [٣٣]

ويتميز أدب شكسبير بالسخرية ، ومن ابرز شخصيات الهزلية (فولستاف) في مسرحية هنري الرابع [٣٤]

وقد بقيت آثار الملهاة الاغريقية حاضرة في السخرية المعاصرة وقد أوجد العصر الحديث ساخرين كثر منهم الكاتب برنارد شو الذي يتميز بأسلوبه الساحر ومقالاته الاجتماعية والنقدية ، واوسكار وايلد الذي هجا النظم السياسية والاقتصادية وأساليب الفن في عصره ، هجاء قائما على النكته ، اما فولتير فلم يشهد العالم ساخرا مثله ، من خلال قصصه الواقعية التي تحاكي الحياة بأحدثها كما في " كنديد " [٣٥]

وقد لا تعتمد السخرية أو الهزل على الكلمة والمشهد والحوار بل تعتمد على ألوان وخطوط وظلال وأضواء كما في فن الرسم الساخر (الكاريكاتير) الذي عرفته الصحافة وآمنت بجدواه، والكاريكاتير يقوم على تكبير جوانب الضعف أو القبح في شيء ما فيبالغ فيها بقصد استغلال الطبيعة في بيان عنصر التشويه فيكون باعثا على الضحك في الوقت الذي تؤدي فيه غرضاً ، اجتماعياً ، وإنسانياً عظيماً . وتكون السخرية كذلك إشارة دالة على معنى أو حركة ، لا يخفى مدلولها ولها مناسباتها الداعية لها.

يستخدمها المسرح التمثيلي كفن ساخر قائم بذاته، أو كعامل مساعد يؤكد الفكرة ويدعمها . والسخرية تحتاج إلى قدر كبير من الذكاء والخفاء والمكر ، لذلك اتخذ منها الفلاسفة والأدباء أداة

يستخدمونها في دقة لبيان رأيهم في الخرافات ، كما لجا إليها رجال السياسة في التندر بخصومهم (٣٦)

المناحي الهزلية عند العرب

زخرَ الأدب العربي بالسَّخرية ، وصار هذا النوع الشعري لا يفارق دواوين الشعراء حتى تميز شعراء به، وتفوقوا على أقرانهم من الشعراء . إن البيئة العربية مدت أبنائها بعناصر الإبداع لاسيما الشاعر أو الفنان بكل ما تمتلك من مقومات اجتماعية وسياسية ، فالتندر والتفكه والطرف جاب الحياة ، وصار للشعراء جولاتهم وصولاتهم من أجل إشاعة الصحك والتسلية ، أو من أجل التقويم السياسي والاجتماعي . لم يكن هذا النوع الأدبي في العصر الجاهلي موجوداً بكثرة ولكن وجد عند القليل . مثل بيت من الشعر أو مقطوعة فهو شيء من أصل الفطرة وفي مذاهب المعاني فجاؤا بشعرهم بنوع من التهكم يستخف الوقور ويرمي إلى الغاية من سياسة الهزل وأكثر ما يكون الهزل في معاني الهجاء ، وهذا ما سماه المتأخرون التهكم والهزل الذي يراد به الجد (٣٧)

وعندما جاء الإسلام ونورت العقول بالقرآن ، تطورت الحياة على الصعيد الاجتماعي والسياسي والأخلاقي ، قدم القرآن السخرية الجارحة التي تهدم مشاعر الآخرين دون فعل مسبق ، لأن القصد منها الاحتقار والاستصغار لغير سبب ظاهر ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسخَرْ قَومٌ مِن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِنهُم وَلَا نِسَاء مِن نِسَاءٍ عَسَى أَن يكن خيراً منهن ....) (٣٨) . لما فيه من الاستهانة بأقدار الآخرين . فإذا كان المسحور منه بليد الشعور لا يتأثر بما يلحقه من اهانات ، فان النهي الذي جاء في الآية الكريمة لا يمسه ، بل يكون جانبا من المراح الذي أحله الله ، وهذه السخرية التي ملات تاريخ الأدب، لأن موضوعها الغفلة والتغافل ، والتناقض والتلاعب بالألفاظ والتهكم بالعيوب الخلقية ، والرد بالمثل ، والتهكم وغير ذلك (٣٩)

وقد جاء في القرآن ما فيه سخرية من بعض الأقوام كالمنافقين وأشباههم ، قال تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً اليماً)[٤٠] وقوله (ذق إِنَّكَ أنت العزيز الكريم) [٤١] .فكان قوله تعالى إنك أنت الدليل المهين، إلا أنه قبيل على هذا الوجه للاستخفاف به [٤٢] أما قوله تعالى : (قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار) [٤٣] . يسخر الله منهم وبعد للكافرين أياما قلائل للتمتع بالكفر [٤٤] ، وهناك نصوص قرآنية كثيرة في هذا الشأن .

وفي العصر الأموي وجد أدب ظريف لكنه كان محصوراً في عدد من الشعراء ، أوجدتهم ظروف لها مساس بالأحوال العامة للمجتمع ، فكان عمر بن أبي ربيعة وغيره من أمثال الأحوص والعرجي والوليد بن يزيد ، فشاع من النقائص إلا انه هجاء يورد فيه الغزل ، فالروح الهجومية هي السمة العامة على أدب النقائص . لان هم الشاعر جرير او الفرزدق ان يجعل صاحبه عاريا بما يلصقه به من صفات موجعه ، تضحك السامعين ، وتثير التشويق فيهم للرد على هذه المعايب بمعايب أخرى ، وهكذا فان النقائص هجاء لكنه لا يخلو من الهزل والسخرية

الجارحة ، مرتبطا بالسياسة والعصبية القبلية [٤٥] .

كقول الفرزدق:

يهز الهراقع عقده عند الخصى بازل حيث يكون من يتذلل [٤٦]

ويهجو الاخطل جريرا متهما إياه بالبخل ، حيث يقول:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم : بولي على النار [٤٧]

أما الهزل في العصر العباسي ، فقد شاع وانتشر وملا الكتب والمجالس ، بسبب تطور الحياة ، واختلاط الأجناس المتباينة ، وانتشار معالم الحضارة والثقافة الأمر الذي أدى إلى انتشار هذا الفن

ازدادت حاجة الناس إلى النكته والهزل للترفيه عن النفس بعيدا عن مشاغل الحياة اليومية ، والرد على السياسيين الذين انشغلوا بالملذات ، وتفشي الأمراض والفقر. فعبر الهزل عن واقع مرير عاشته الحياة العربية في ظل الحكم العباسي [٤٨] ، ومن ذلك قول بشار بن برد وهو يسخر من الخليفة العباسي المهدي

بنو أمية ، هبوا طال نومكم إن الخليفة " يعقوب بن داود"

ضاعت خلافتكم يا قوم ، فالتمسوا خليفة الله بين الزف والعود [٤٩]

ومن شعراء الفكاهة والهزل في العصر العباسي الأول : (أبو دلامة وابو الشمقمق و ابن بسام وغيرهم ، فشاعت الفكاهة في شعرهم ، وهذا انما يدل على ذكاء الشاعر واستغلاله الظروف المحيطة به سياسة كانت ، أم نفسية بسبب معاناة الفقر. فالشاعر أبو الشمقمق يأتي هزله من هجانه ، كي يستلب لقمة العيش ، فشاعت بينه وبين بشار بن برد اهاج قبيحة ومضحكة [٥٠] ، منها قوله:

سبع جوزات وتينة فتحوا باب المدينة

ان بشار بن برد تيس أعمى في السفينة [٥١]

وروى الجاحظ لأبي الشمقمق ابيات يقول فيها:

ألا قولوا لبشار إن المخاري ووجه الكلب والتيس الضروط

له بطن يضل الفيل فيه ودبر مثل راقود النشوط [٥٢]

أما أبو جحظة البرمكي فهو قريب من أبي دلامة ، وجاء شعره على أبيات مفردة أو مقطعات صغيرة . كالذي رواه أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر:

وقائلة ماذا دهى ناظريك فقلت رويدك أني دهيت

شققت دجاجة بعض الملوك فما زلت اصفع حتى عميت [٥٣]

ولأبي نواس أبيات يكنى بها عن البحيل منهما

رايت قدور الناس من الصلي وقدر الرقاشين بيضاء كالبدر [٥٤]

وكان البخيل موقع تندر لدى كثير من الشعراء ، لأن شخصية البخيل يبغضها المجتمع ، فالعربي الأصيل عرف بالكرم والشهامة ، لذا صور أبو العتاهية هذه الشخصية بطريقة هزلية ، يقول:

رأيت الفضل مكتئبا يناجي الخبر والسمكا

فأرسل عينه لما راني مقبلاً وبكى

فلما أن حلفت له بانِّي صَائِمٌ ضَحِكًا [٥٥]

ولم يكن الهزل بعيداً عن النثر بعدما ملأ الشعر ودواوين الشعراء العباسيين ، فتميز أدباء بالسخرية منهم الجاحظ ، وبديع الزمان الهمداني في مقاماته.

تميز الجاحظ بالسخرية والتهكم، واسلوبه الساخر واضح في كتابه البخلاء، الذي عبر عن قوة الجاحظ الفنية وفطنته وذكاته في تصوير فئات من الناس ونفوسهم وأحوالهم ، فقد تحدث عن طوائف المتسولين ، والمشعوذين ، والشطار ، والصيادين ، وكذبة المحدثين .... بأسلوب ناقد وساخر.

ان شخصية البخيل من النماذج العالمية العامة في الآداب، فسخر الجاحظ من البخل والنفاق والتطفل [٥٦] ، فيذكر : واتى طفيلي طعاما لم يدع إليه ، فقيل له: من دعاك ، فإنشا يقول

دعوت نفسي حين لم تدعني فالحمد لي، لا لك ، في الدعوة

وكان ذا أحن من موعد خلفه يدعوا إلى الجفوة [٥٧]

ولم الباهلي الأندلسي الذي أكثر في فنون الهزل ، وذكر المعري له ديوان شعر سماه نهج الوضاعة لأولي الخلاعة ولأبي الحكم مقصورة هزلية عارض بها مقصورة ابن دريد ، وأورد المقري قصيدة من الهزل الأندلسي قال : إنها منسوبة لأبي عبده الله بن الأزرق ، وقد ذكر فيها صوت الصفع وصوت الضحك ، على نحو ما يغيب فن الهزل عن بيئة الأندلس ، فعرف به شعراء ، منهم أبو الحكم صورت العرب أصوات الأشياء كقولهم : " جرت الخيل فقالت : حبطقطق [٥٨] . بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ على يد المغول وتدهور الأوضاع السياسية ، والفكرية ، والاجتماعية ، جاء الهزل ضمنا مع الهجاء ، وتصوير المهجو بشكل مضحك ، او نعته بنعوت مشيئة في عرف المجتمع ، مثل الغدر والبخل والحمق وما شابه ذلك . قال سليمان بن بنيمان في هجاء الشاعر شهاب الدين التلعفري الذي قامر بثيابه و خفافه:

ما رأينا ولا سمعنا بشيخ. قبل هذا مقامر بالخفاف

يدعى نسبه الى ال شيبا ن وتلك القبائل الإشراف

مثل نجد لو استطاعت لقالت ليس هذا الدعي من أكنافي [٥٩]

ثم نبغ محمد بن دانيال الموصلي الحكيم ، الذي قال فيه الصفدي : هو ابن حجاج عصره ، وابن سكره مصره ، وله غرائب يتناقلها المصريون منه ، من النكت والنوادر . أما تقي الدين بن العربي ، وهو صاحب القصيدة الدبدبية الشهيرة التي جمعت فنونا من الهزل [٦٠]

في العصر الحديث أدى الهزل وظائف عدة ، وساعد في التعبير عن الواقع العربي والظروف التي عاشها أبناؤه ، فأتاح الهزل مجالا للتنفيس عن الذات ، ولنقد المجتمع من كل جوانبه لاسيما الجانب السياسي ، فالسخرية رفيقة الأدب ونبض الواقع ، تتطور بتطور الحياة الإنسانية ، وتسمو كلها كانت الغاية تقويم الإنسانية .

كان الهزل متنفسا المجموعة من الشعراء ، ووسيلة ذكية لرسم صور موحية للحياة ، حتى سمو ب" أدباء الفكاهة . وكان من أدباء العصر الحديث الذين عرفوا بالأسلوب الساخر " المازني " شمل أسلوبه كل طرائق الساخرين وسلك مناهجهم ، بحيث لا تستطيع ان نقول انه انتقل بمنهج معين .

قاوم فساد الأخلاق والانحرافات ، وركز على الطبيعة الإنسانية بأكثر ما ركز على التلاعب اللفظي والمهارة اللغوية.

سخر من نظام الطبقات القائم على الظلم ، وله آراء في الأدب والشعر خاصة . لقد دعا من خلال أسلوبه الساخر إلى الصدق واحترام حق الإنسان كإنسان ، وتقدير سيادة الشعوب على بلادها [٦١] ، ومن شعره الساخر ، قوله:

أنت كالذنب خذن غدر لوم ليس للذئب في الورى من وفاء

ما رأيناك بالإخاء خليقاً ورأيناك أهل هذا الجفاء [٦٢]

وهذه الأبيات تهكمية في الصديق

ومن الملاحظ أن الهزل في العصر الحديث أكثره نقدا للواقع ، والحياة السياسية والاجتماعية ، كما نجده بكثرة في شعر محمد مهدي الجواهري ، حيث جسد في شعره حاضره وماضيه ، وتذمره ورضاه ، بطرق تثير المتلقي ، تحمل صوره الشعرية التذمر والتهكم ضد النكته [٦٣]. وكثيرا ما نجده يعبر عن مرارته بفقدان الأمل واحتلال اليأس والخيبة كامل مشاعره [٦٤]

وهذا واضح في قصيدته " الرجعيون" التي يقول فيها

على باب المسلمين تكدست

جياع عليهم ذلة وعراة

هم القوم أحياء تقول كأنهم

على باب " شيخ المسلمين" موات

يلم فتات الخير في التراب ضائعاً

هناك ، وأحياناً تمص نواة

بيوت على أبوابها البؤس طافح

وداخلهن الإنس والشهوات [٦٥]

وله قصائد أخرى تميزت بأسلوبه الساحر والمقاصد المختلفة منها قصيدة " عيادة الشر " وقصيدة " يا أم عوف" وقصيدة " طرطرا" وغيرها [٦٦]

ويقول في قصيدته " طرطرا."

أي طرطرا تطرطري

تقدمي تأخري

تشيعي تسنني

تهودي تنصري

تكردي تعربي... [٦٧]

ويعد الجواهري الناقد الساخر من خلال الكثير من قصائده ، فقد رسم صورة الواقع المرير ، ونقد جوانبه بنقد تغلب عليه الهزل والتهكم ، وجاء في اغلب شعره الإحساس بالخيبة والخذلان.

وبشكل عام يمكن القول : أن للسخرية والهزل تاريخ طويل لصيق بالأدب.

المناحي الهزلية في الشعر العراقي المعاصر:

الهزل السياسي :سخر الشعراء من الحكام والسياسيين الذين اسائوا إلى مناصبهم وترك الشعب يعاني من الفقر والظلم والحرمان ، وكأن الشعب العراقي عبيد لهم ، يتصرف الحاكم به كيفما يشاء ، كان الشعب عبيد لهم ، فكبت الأصوات المناضلة ، وتقيد حرية القول وكان الحاكم اله يتصرف بالشعب كيفما يشاء . لذا نجد أن شعراء السخرية السياسية هم ممن عانوا من ظلم الحاكم ، وعاشوا مضطهدين ، لكن صوت الشاعر يتحدى كل القوى لان الشعر يحمل رسالة سامية لحماية الحرية .كما يقول الشاعر احمد مطر في قصيدته " جرأة."

قلت للحاكم هل أنت الذي أنجبتنا

قال لا لست أنا

قلت هل صيرك الله اله فوقنا

قال حاشا ربنا

قلت هل نحن طلبنا منك أن تحكمنا

قال كلا

قلت هل أقرضتنا شيئا على أن تخسف الأرض بنا

أن لم نسدد ديننا

قال كلا

قلت مادامت أذن لست إلها أو أبا أو حاكما

منتخبا أو مالكا أو دائنا

فلماذا لم تزل يا ابن الكذا تركبنا

وانتهى الحلم هنا [٦٨]

يسخر الشاعر من الحاكم فيطرح أسئلة عليه وكأنه يحاوره ، ويسأله ما سبب ظلمه ، وتصرفاته ، إلى أن يقول له إذا لم تكن إلها أو أبا أو نحن من انتخبناك فلماذا تحكمنا ، لماذا تخنق أنفاسنا ، وتقطع رؤوسنا وهذه القصيدة عبرت عن جرات الشاعر بوجه السلطان الظالم .

الهزل الاجتماعي: ومن الشعراء. من جعل شعره الهزلي لنقد ظاهرة شاعت في المجتمع، ونقده شاعت في المجتمع، و ممزوج بالسخرية ، فالشاعر موفق محمد سخر من الكهرباء و انقطاعها الطويل ومعاناة الشعب في ظل غيابها ، فيقول:

والكهرباء ومنذ سنين

تتمتع بإجازة الحمل

وقد اخبرنا السونار

بأنها تحمل توأمين

حار وبارد

لكن المصيبة تكمن

في أنها تصعق كل

قابلة مأذونه [٦٩]

رسمت الكهرباء للعراقيين خط طويل من المعاناة ، فجعل منها الشاعر لوحة سخرية تعبر عن الواقع. ومثله سخر الشاعر كزار حنتوش من الصعاليك حيث يقول:

بنطلوناتهم مجعدة ، كرقبة قصاب سمين ، وجيوبهم مكوية

أحذيتهم زوارق ، وقمصانهم أشرعة...

ما عندهم كلب ، لديهم قمر ، عندهم ناي ،

وليست لديهم خراف ما البرد ! أنهم مبطنون بالفراء من الداخل [٧٠]

فهو يصف هيئتهم بصورة مضحكة ، ويصورهم كيف يجوبون الشوارع ، جيوبهم فارغة وأحذيتهم زوارق للدلالة على كثرة تجوالهم ، وقمصانهم عريضة كأشرعة تساعدهم على تغيير اتجاهاتهم ، محرومين ، فقراء لا يشبهون المرفهين الذين يمتلكون كلب ، فكل ما لديهم قمر يضيء ظلامهم ، وناي شعار لحزنهم ، داخلهم فراء يحميهم من قساوة البرد .

الهزلي الفني: ومن الشعراء من اتخذ السخرية لغرض إشاعة جو الفكاهة كطريقة فنية تجذب النفوس أليها ، كما تجده عند الشاعر كزار حنتوش ، تكاد تغلب السخرية على شعره.

حتى عرف بأسلوبه الساخر يقول في قصائد رسمية: "

قوديني كخروف ضال

نحو ربيعك

خليني أرعى بين بساتينك

أنت الطين الحري

وانا الماء

فلتمتزج الآن

قيمر - معدان - [٧١]

يطلب منها ان تقوده فيشبه نفسه بالخروف حتى يرعى في بستانها ، فهي الأساس وهو الماء ، ويدعوها للامتزاج كالقيمر وخصصه ب (قيمر معدان) الذي يمتاز بالبياض وكثرة الدسومة ، ويقول في موضع آخر من القصيدة:

طيلة عشرين سنة

وأنا أتشمم بحثا عنك

كالكلب البوليسي

لم يفلت من انفي شيء

حتى صرة بنت المختار

وأخيرا .... [٧٢] يشبه نفسه ب **(الكلب البوليسي)** الذي يمتاز بحده حاسة الشم ، فلم يفلت من انفه أي شيء ، حتى صرة بنت المختار ، نجد السخرية لغرض التفكه.

اهم النتائج التي توصل اليها الباحث:

_مثلَ الهزل في الشعر العراقي المعاصر صور تعبر عن حالة الشاعر النفسية والسياسية والاجتماعية

_إنّ المناحي الهزلية في الشعر العراقي جاءت بصور متعددة

_ هناك تشابه في المدلول لكلمة الهزل والبحث فصل القول في كل منها.

المصادر والمراجع

١) مقاييس اللغة ، احمد بن فارس ، تح : إبراهيم شمس الدين : ٢ ، ٢٢٧

٢) لسان العرب ، ابن منظور . مادة (نحا) ٣٠٩١٥/٣١١

٣) نفسه ، (الهزل) : ١١ ، ٦٩٦

٤) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تح : محمد باسل عيون السود : ٢٨٥

٥) ينظر : المعجم الأدبي ، جبور عبد النور : ٢٧٩

٦) ينظر المعجم الأدبي ١٩٣، ١٩٥

٧) ينظر ، نفسة : ١٦٥

٨) نفسه : ١٣٨

٩) ينظر معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ـ سعيد علوش : ١١٠ .

١٠) ينظر : المعجم العربي ،١٨٥

١١) معجم المصطلحات الادبية المعاصرة : ١٥٠

١٢) ينظر : اثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، علي حداد ٢٦.

١٣) الانبياء : ٦٣

١٤) ينظر : علم البديع ، سبيوتي عبد الفتاح : ١٩١

١٥) ينظر : معجم البلاغة العربية ، بدوي طبانة : ٧٠١

١٦) النساء : ١٣٨

١٧) ينظر البديع ، ابن المعتز مع اغناطيوس كراشفوفسكي ٢٤٠

١٨) ينظر : البليغ في المعاني والبديع ، احمد الشيراري : ٢٧٦

١٩) ينظر الصحك ، هنري بوجستون ٨٣

٢٠) ينظر السحرية في أدب الحاحظ ، عبد الحليم محمد حسين : ١٥ – ٦٤

٢١) ينظر الضحك ٨٩-٩١

٢٢) ينظر المعجم الأدبي ٢٦٦